

عبد المجيد الشافعي

الطالب المنكوب

الطالب المنكوب

في

قصة غرامية موضوعة

بقلم

عبد المجيد الشافعي

١٣٧٠ - ١٩٥١

الإهداء

الى المنكوبين من اخواني الطلاب ، رواد الثقافة والآداب ، أزف هذه القصة اللطيفة عساها تكون لهم انيسا في دنيا شقاوتهم ، وليالى محنتهم ، وايام تعاستهم التعساء ، وبلائهم العظيم .

عبد المجيد الشافعي

اسداء شكر

الى الذين بذلوا جهودا جبارة في اعانتي وتشجيعي على انتاج هذه القصة ونشرها أهل العزيمة الفولاذية والاخلاص المتين ، العاملين لرقي امتهم ولغتها العربية السامية . أمثال أصدقائي الناهضين . عبد الواحد عمراني . ورشيد الجاموسى . ومحمد اللقاني بن الامين . وصاحبى مطبعتنا ومديريها العاملين الاخوين نور الدين ورشيد الشريف

وفي طليعة العاملين وعلى راسهم سيدي واستاذي الطاهر المبعوج المدرس بالجامعة الزيتونية الذي كان أول نصير لي عليها ، اذ قام بتصديرها وحثني على طبعها

والى سائر المشجعين لانتاجي بالدعاية والاشتراكات أرفع أحر شكري ، وأعطر ثنائي ؛ وأعظم تقديري لاعمالهم حق قدرها

عبد المجيد الشافعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مَن الفتى الشاحب الوجه ، المعروق الاطراف، المتقع اللون ، الحيران النظرة ، يريدة لداته من اطفال القرية الوديعة على مشاركته لهم في العابهم فلا يكاد يتوسط جماعتهم ، وينصت الى غوغائهم حتى تتملكه من انسهم وحشة ، وتفور في اعماقه من ضحكاتهم عبرة ، فيجمع بيديه اطماره المتواضعه . كانه يخشى عليها من الريح التمزيق ، وينط بسرعة القط يخفي نفسه في داره المتداعية ، كأنه يحس بوجوده مع اترابه وسط تلك الشوارع الرحيبة في ضيق . ثم لا تقع عليه عيونهم يوميا الا وقت الدرس بين يدي المعلم ، وقد تبدلت وحشته انسا ، وطفح وجهه بشرا ، بما يلقاه به معلمه من عطف مسل ، وتنويه مشجع ، وتوجيه مفيد ، كان يخصه به لما يعرفه عنه من اليتم الفاجع ، والفقر المدقع ، ولما يلمحه فيه من مخائل النبوغ بما يبديه من النهم لما يمليه ، واستعدائه على استظهاره بعقل عقول ، وعزم صبور ، وذهن ذكور !؟.

ومَن هذا الشاب المنكسر الفؤاد ، والذوي نضارة وجهه ، فقد الابوين ، واصفار اليدين ، وظلم الاقربين ، وجفو البيئة الوبيئة الجاهلة ، وكره القرية الوضيعة بعاداتها ، وفكر طويلا فحضرته توجيهات معلمه ، وتحركت فيه مطامع جاشت نفسه لتحقيقها ، وامتدت عينه الى مطامح عقد العزم على وصولها ، فباع الدار ، وزم الحقيبة ؛ يودع القرية ومدرستها القرآنية ، الى تونس وكليتها الزيتونية . امتطى القطار وما كاد يفصل من القرية حتى القى عليها نظرة اخيرة فيها لعنات ، وكره ، وعتاب . وفيها اشفاق ، ورجاء ، وتحسر ، ودموع . ويصل حاضرة تونس بعد نكبات تلاحقه في طريقه ، ويتفيأ ظلال الزيتونة الوارفة ؟.

ومَن هذا الشاب الانيق الهيئة ، الباسم المحيا ، يتخذ لنفسه أوفى الاصدقاء ، ويلمع اسمه بين النبهاء ، ويساعده الدهر بعد جفاء ، ويعرج في سنوات التعليم باستحسان ولكن ما تكاد تنسيه ايام رخائه عهود شقائه ، حتى يمس الحب قلبه بسلكه ، ويلفحه الغرام بشعلته فيبدو من جديد حيران ، لهفان . واذا هو من الحب كالفراش على السراج ، متألم من حره ، ويساقط محترقا في سعيره ، وبعد ان تنصهر نفسه في أتونه يخرج خالصا من الأوضار ، طاهرا منه الأزار ، ويدفعه الحب الطاهر الى الكمال ، ويعشقه في الفضائل فيتمم دراسته في هدوء ، وينقلب الى موطنه داعية من دعاة الاصلاح ؟

........ذلك هو الطالب المنكوب كما اتصوره من دراستي لهاته القصة .

* * *

واما تقديمي قصتك الى القراء فحسبي ان اصارح حضراتهم بافكاري الآتيه :

١ إن قصة الطالب المنكوب » وضع الاديب الالمعي الشاب عبد المجيد الشافعي هي خواطر رفافة تفتق بها خيال شاب ما زال في عهد الدراسة ، ومع ذلك ورغم حداثة عهد خيال صاحبها بالتحليق جاءت ممتعة حقا . ومن ثمة كان مطالعها لا يكاد يبتدئها حتي يحس في نفسه برغبة ملحة في الاتيان على آخرها . وهي فوق ذلك صورة لهذا الاتجاه الجديد لناشئتنا المتادبة شطر ادب القصة ذلك المورد العذب الكثير الزحام في هذه الايام . ولهذا اراني غير مخطئ اذا اهديت الى بنوتك من الآن تهاني القلبية باعجاب تراثك الكثيرين باولى بنات افكارك . ولن أطري اسلوبك فهذه الصورة التي رسمتها لنا [illegible] ان علقت بذهني لاول دراسة [illegible] يراعك [illegible] المجد شخصك لا املي [illegible] في ذلك [illegible]

٢ من واجب الافارقة عموما ، وحاملي مشعل الثقافة منهم خصوصا ، [illegible] الزيتونة والقرويين بالاخص ، اذا ارادوا ان يبلغوا بشعبهم ما يصبو اليه من حرية وانعتاق ان

يعلنوا للعالم قبل كل شيء عن شخصيتهم ، ويقولوا لكل متعام : هانحن ياهذا . بمشاركتهم المشرفة لوطنهم الحاملة لطابعهم الخاص في كل ميادين الحياة عموما وفي ميدان الثقافة بالاخص ، ولن يكون ذلك الا بتقديرهم لجهود العاملين منهم ، وتشجيعهم لنتاج ابنائهم ، وتقليلهم من هذا التهافت المشين على فتاة موائد الاغيار ، من غير تنخيل ولا تمحيص ، وانهم لواجدون بين شبابنا جواهر وضيئة ، وورودا فواحة ، لا ينقصها الا العناية والرعاية ، والتشجيع ، والتقدير .

٣ انا مغتبط بنشاطك واقدامك ، متفائل بتمامك وابدارك ، مردد معك لاركب من هاب السقوط ، ولا فاز من خشي السهام .

الطاهر المبعوج في ١٠ ١٢ ١٩٥٠

مقدمة المؤلف

تعمدت وضع هذه القصة ضمن هذه الوريقات ، خيالية من ناحية وحقيقية من بعض النواحي .

خيالية من جهة تسمية بطلها وتعيينه ، وتسمية الفتاة التي تعلق بها بطل القصة وتعيين محل سكناها وموقعه .

وواقعية بالنسبة لحالة التلميذ التي يقضيها في أطوار تلمذته وما تعاوره من ازمات وشدائد . . .

وغرضي من هذا هو تنبيه الامة لمساعدة المتعلمين واغاثة المتعطشين للثقافة ، وتشجيع التلميذ وحثه على ان يقف امام العقبات وقفة البطل الصنديد في ساحة الوغى .

ولهذا أذكر صورة احد الطلاب كمرآة . . . أو . . . كحادثة تاريخية يدرس فيها كل طالب نفسية هذا الشاب العصامي كيف كافح وناضل وثبت على مبدئه لم تصده اية نكبة حتى بلغ مراده وفاز بآماله ورغائبه .

وتلميذنا اليوم بصفة عامة مكافح مثابر صامد أمام العقبات والعراقيل

. . . : بيد ان منهم من تنثني عزيمته فينقطع عن تمادي التعليم ويحول وجهته فجأة سعيا وراء غاية الثمن وطلب المادة و يكد طويلا ثم لا يحصل على شيء وتذهب مجهوداته سدى

واخترت ان تكون هذه القصة أولى تاليفي وباكورة اعمالي لانني ما زلت الى الآن بصدد التعلم وقد قاسيت فيه ما قاساه سائر زملائي او اشد . . . من الآلام والاتعاب . ولكني احتملت وصبرت . ولما كنت رايت من بعضهم انحرافا عن جادة الصواب اذ لم يصمدوا امام العقبات وفارقوا التعلم ونكصوا على اعقابهم . . . لهذا بدا لي بعد ما فكرت وتاملت ان اضع لهم قصة « الطالب المنكوب » عسى ان تكون خير انيس لكل طالب يقرؤها فيتمادى في تعلمه وان كان في مثل هذه الظروف القاسية الحرجة

واني اتقدم بها بين ايدي الشباب والكهول : راجيا ان تحظى عندهم بالقبول . وان يقابلوها بالتشجيع . ليتسنى لكل طالب ان يخوض معمعة التاليف في مختلف الاغراض ، حتى يكون النفع عاما للامة ، عائدا عليها بالصلاح والفلاح ،

وانك ايها القارئ العزيز عند ما تتصفح هذه القصة تجدها تحتوى على اغراض سامية ، واخلاق فاضلة ، يجدر بكل شاب مسلم ، ان يتحمل

بحلتها الفضفاضة . كالاعتماد على النفس ، والسعي في التعلم ، وطلب المجد ، والدفاع عن كيان القومية الماجدة ، والشرف النبيل . وهي المقصود الاهم من قصتنا هذه .

واكبر دافع حفزني على تاليفها ، هو خدمة الادب ، وفتح الباب للطالب «الزيتوني» بالخصوص . ليلج موضوع التآليف ، والكتابات ، ويقلع رداء الجبن ؛ ويتقدم الى ميدان العمل .

فلا ركب من هاب السقوط ، ولا فاز من خشي السهام

عبد المجيد الشافعي

عبد اللطيف

فتى ترعرع في بيئة بسط الجهل طيلسانه السـاحم على ربوعها ، وخيم على اطرافها ، وساد الطغيان ، وطغت العصبية على كبارها وصغارها ، وتربع اللعين على عروش الافئدة ، ففرق القلوب ، ونفر النفوس ... وكاثفت الغيوم ، وتلبدت السحب ، فاحتجبت الراقصة وراء ستور المسرح وفقد النظارة آخر خيط من خيوط شمس الحقيقة ، فلم تعد تبزغ على المترقبين ، وتشرق على السارين ، وتطل على البائسين والمساكين ، وتتلالا على المحبين والمغرمين ، وتشع في وجوه الحسان، فتزيدها وضوحا واشراقا ؛ وما اسرع ما تبددت الآراء . وتبلبلت الافكار ، وفسدت القوانين، وساءت النظم والافكار، وعميت القلوب والعقول ، (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وظل كل فرد لا يسعى الا فيما يخص نفسه ، لا يلوي المرء عن اخيه ، ولا يسال الشيخ عن بنيه ... وصارت تلك البيئة بما احتوت عليه من ذكور واناث . صغار وكبار ، كهول وشيوخ ، وبما فيها من اسر وعائلات ، متفرقة متشتتة . لا يحن الكبير على الصغير

ولا يرأف الوالد على اولاده ، ولا يطيع الصغار آباءهم ، ولا يقفون عند حدودهم ، ولا يسمعون لهم قولا ، أمرا كان أو نهيا :

وكان الآباء من سذاجتهم وبساطتهم ، وجهلهم البغيض ، لا يفهمون نظام حياتهم . ولا يعرفون كيف يسيرون شؤونهم الحيوية ، على اكمل نظام بكل دقة ووئام ، ليلتحقوا بالامم الحية ، ويضربوا معهم بقسط في الحياة . بل بقوا في عيشهم ، واخلاقهم ، وسوء تربيتهم ، وسقم تدبيرهم ، وعقم تفكيرهم في الصحراء المجدبة من الحياة (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) وهم في الهوة السحيقة ، وفي ابعد غور من الضلالة والجهالة ، ولكنهم لا يعقلون وفي انفسهم لا يبصرون ، وبنعمة الله جاحدون

وهكذا ظل افراد تلك البيئة سائرين على هذا النمط من الضوضاء والضجيج . وهذا الطراز من الهرج والمرج ، لا يشعرون بما يقومون به من افعال شنعاء ، وما هم عليه من طباع سافلة ينهرون السائل ، ويقهرون اليتيم ، ويعتدون على شرفه وعرضه ، ويستخدمونه بغير عوض ، لا قليل ، ولا كثير .

وكان من بين اليتامى المقهورين شاب يدعى (عبد اللطيف) قد كان له ابوان يسهران على تربيته وتعليمه ، ويجدان في تهذيب وحيدهما وتاديبه ، لكن عاجلتهما المنية وفقدهما وهو ما زال صبيا او قريبا من المراهقة ،

ومن هنا طفق الدهر يسدد سهامه الى الفتى ، ويصوب نحوه نوائبه المزعجة ... :

وتصدى ابناء عشيرته يقيمون العراقيل دون استمراره على التعليم ، بتذكيره بمصيبة اليتم الحائلة دونه تارة ، وباغرائه بامتهان مهنة النساس من ابناء العمومة تارة اخرى . وباستخدامه المجاني في حاجاتهم العادية ، كما هو شانهم في سائر اليتامى والمساكين مرات اخرى .

وكان الشاب فقيرا معدما ، لا يجد ما يتبلغ به عندما يعود من قراءته فيدخل داره ، ويرمي ببصره هنا وهنالك فلا يرى الا الجدران قائمة فيجلس على الارض ويضع صخرة عند راسه ويبيت طاويا . ثم يزعجه ابناء بيئته باصواتهم وضجيجهم ، فيقوم من مكانه ويتكىء على جدار بيته ويبقى مفكرا في حياته ، ومستقبله ...

... وبقي الفتى يتردد على معلمه ، فيجد منه كل بر وعطف وحنان . ولما رأى كبار الاسرة معلمه يحدب عليه ويعطف ، تصدوا لاذاه ومحاربته حتى طردوه ، وتركوا اليتيم وحيدا لا يكون رقابهم يتصرفون فيه كما يشاؤون .

ولما وجد الشاب نفسه مقهورا في ذلة ومهانة ، وعرف ان قومه يحاربون القراءة والتعليم ، وينصرون الامية والجهل البغيض . فكر في بيع داره ، وما يتصل بها والفرار من بين هؤلاء الاسود المفترسين .

ساورته هذه الفكرة في ليلة من الليالي . ولكنه ما استطاع ان يقدم

وينفذها. وظل في قلق واضطراب كادا يصلان به الى الجنون. ولا زال كبار قومه يحرشون به سفهاء ابنائهم ، فيضربونه بالحجارة، ويرمون عليه الاوساخ في بيته الحقير، وكذلك ظلت حياته طيلة ايام المراهقة، ولما بلغ طور الشباب واتم ما ورثه من ابويه بالبيع . خشي ان بقى في هذا الوسط المشؤوم ان تكون العاقبة وخيمة .

فما كان منه حينئذ الا ان نفذ فكرته ، وغادر عشيرته التى نغصت عليه حياته، وكدرت صفو عيشه ، و.... واقلقت راحته

ازمع الشاب الرحيل عن مسقط الراس ، وهو ياسف لما اصابه فيه من تعب ونكد ويندب هذا الموطن الذي فارقه وهو لا يدري الى اين يذهب ، ولا الى اية ناحية يتوجه ...

.... وجاشت بخاطره آراء، وافكار مضطربة، واجتمعت على روعه الهواجس، والخيالات، من كل ناحية وصوب. فقضى ليلته فريسة طريحة، تنوشه اهوال غده المجهول، بمخالب وحوش ضارية، وانياب اسود فتاكة، رغما عن مقاومته ودفاعه الشديدين .

وهكذا حالة الضعيف يصارع عدوه حتى يغلب عن امره فيستسلم ويمتثل مشيئته، ويكون طوع امره يقوده حيثما يشاء، ويوجهه اين يريد. ولا يزال، الفتى المنكوب على هذه الحال البائسة حتى ينبلج الصبح، ويطارد

ظلمات الليل، فيشعر بدبيب الراحة يسري في عروقه، ويقف مذعورا منهوك القوى، ضائع الامل، كاسف البال، قليل الرجاء، ويسرع إلى جمع اثاثه في حقيبته، وهو يبتهل الى الله ويدعوه ان ييسر له السبل، كي يتسنى له ان يلج معمعة الحياة، ويظفر بالسعادة والهناء .

السفر

... وما كادت تبزغ شمس اليوم الذي عزم فيه على السفر، حتى رفع حقيبته وقصد محطة القطار، يريد السفر الى تونس. وتقدم الى بدال تذاكر الركوب فاشترى منه واحدة وتراجع الى الوراء يترقب الوقت الذي يؤذن فيه بالاجتياز الى القطار، وكان التعب قد اخذ ماخذه منه، فتنحى الى جهة من جهات المحطة، وجلس على مقعد من مقاعدها، واطلق الى افكاره العنان، فترا كمت عليه جحافل الاماني، وغرق في بحر الهواجس، فما افاق حتى وجد القطار قد بارح المحطة، وهكذا فاته السفر في ذلك اليوم، وزاد الطين بلة ان ضاعت له تذكرته ولم يبق لديه الا نزر قليل من المال، لا يمكن ان يصل به الى البلدة التى يقصدها، فقضى ذلك النهار في هم، وغم، وتلك الليلة في مشقة، ونصب، لم يذق حلاوة النوم، ولا لذة الطعام، اذ قضى ليلته على كرسي من خشب امام المحطة في تعاسة وبلاء ...

... ولما بزغت شمس اليوم الموالي دخل المحطة، واخرج من كيسه جملة ما يكسبه من المال ودفعها الى بدال التذاكر فابتاع منه واحدة، لكن لا توصله الى البلدة المقصودة، بل الى نصف الطريق فحسب.

... ولما دقت الساعة السادسة صباحا ازدحم المسافرون على درج عربات القطار، صاعدين الى مقاعدهم منها زرافات، وكل المسافرين معهم اهل وخلان، يشيعونهم، ويأسفون لفراقهم، وأصواتهم تتجاوب في اجواء الفضاء بالشهيق، وكان الفتى وحيدا لا باكي على فراقه، ولا مشيع. تصاحبه الكآبة، وتنال منه آلام الدهر وضرباته، يختلس الى الناس نظرة، تتبعها دموع تتناثر على خديه، وتسقط على اثوابه فتبللها كانها اصيبت، بغيث وابل.

وما هي الا بعض دقائق، حتى تحرك القطار من مكانه، وشرع في السير، وترك في المحطة الفسيحة جمهور المشيعين يتبعونه بنظراتهم، حتى غاب عن اعينهم، فرجعوا في طريقهم ياسف هذا الفراق ابيه، والآخر لصديقه، والاخرى لحبيبها، وما تركه الغرام من آثار في قلبها الرقيق، وعواطفها الحساسة، فلنترك هؤلاء وشانهم وهيابنا ايها القارىء العزيز نقتفي آثار صاحبنا لنطلع على حالته، وندرسها درسا جيدا حتى لا يفوتنا منها شيء

فهو من وقت ولوجه عربة القطار، وجلوسه على مقعدها الخشبي، إحس بالم يسري في عروقه، وتغيرت ملامح وجهه، واطلق لافكاره العنان، واشتدت عليه آلام الحمى، وترا كمت عليه الاحلام، فتارة تصور له السعادة والهناء فيبسم ويسر، وطورا تصور له الشقاء والبؤس، فيبكي، وينتحب،

وآونة يتخيل نفسه غريقا في بحر زاخر، بين امواج متلاطمة، ورياح عاصفة، ورعود قاصفة، فيمد ذراعيه، كالسابح يطلب الخلاص، ويستغيث، انقذوني ...انقذوني ... فالموت مني كحبل الوريد.

وهكذا ظلت حالته في تعب ونكد، حتى اقلق الجالسين معه، فصاحوا في وجهه، وظنوه مجنونا، وطردوه من بينهم، واغلقوا وراءه باب العربة الخلفي، ووقف هناك منكسا راسه، لا يدري اهو في يقظة ام في منام ...؟

وزاد الطين بلة، ان لحقه شرطي القطار، فسأله ما باله يتمايل في مشيته، وهو متغير الحال، متبلبل البال، حاسبا ان تلك التاثرات البادية عليه، ما هي الا من آثار تناول الخمر، فقبض على يمينه، واتفق ان وقف القطار باحدى المحطات الصغرى، فانزله منه، وزج به في السجن على عادة المستبدين من غلاة المستعمرين (حتى يعترف بسكره)

ولكن الفتى كان رابط الجاش، يقابل العراقيل بوجه باسم، وصدر رحب، لا تثنيه عن عزيمته، ولا تصده عن نيل آماله ضربات الدهر وخطوبه القاسية، فهو يقاوم كل عقبة، ويذلل كل صعب، مستمسكا بقول الشاعر:

لاستسهلن الصعب او ادرك المنى

فما انقادت الآمال الا لصابر

ولا يستسلم لاية قوة، تريد ان تمنعه عن ادراك مبتغاه، فقد اعتصم بحبل الله المتين، وارتدى رداء الشجاعة، وقابل رئيس الخفر يبرهن على انه ليس بنشوان، ولا مجنون، حتى اثبت لنفسه البراءة، وخرج طاهر الذيل، يتدبر الوسائل التي تمكنه من الوصول، وانت على علم مما سبق لك ايها القارىء العزيز، بانه قد نفد كل ما عنده من المادة، ففكر كيف يتملص من اغلال الدهر ونوائبه، واخيرا إهتدى الى نجار، فاشتغل لديه مدة بثمن بخس، حتى امكن له ان يجمع قدرا من المال، يكفي لنفقته بضعة اشهر فقط، علاوة عن ثمن ركوبه الى البلد الذي نوى الرحيل اليه، وعند ذلك رفع حقيبته وتوجه الى القطار فامتطاه، وفي هذه الساعة فقط، احس ببارق من السعادة قد لاح لنفسه، فاستبشر وسر، وطرد عنه كل الهواجس والاحلام، وبقي مرتاح الفكر، يطل على الكائنات من نافذة العربة، فيشاهد على مد بصره الاراضي الشاسعة، وما اخرجته من بطنها من اشجار وعشب، وما يجرى على وجهها من اودية وانهار، وقضى كامل يومه، يشغل نفسه بتلك المشاهد الطبيعية مخافة ان تعود اليه أحلامه، فتوقعه فيما وقع فيه قبل ...

وما ان دقت الساعة السادسة مساء، حتى وقف القطار في المحطة التونسية، ونزل الركاب، فالتقى الاخلاء بخلانهم، والاقارب بأقاربهم

وقد كانـوا يترقبون مجيئهم من امد بعيـد ٠٠٠ ثم تبادلوا التحية بشغف واشتياق، وضم الحبيب حبيبته ، وعانق العاشق الولهان معشوقته ، وتوجه الجميع الى الباب حيث يخرجون الى البلاد ، كل له صديق يساعده على حمل أثقاله ، وكل له مأوى يأوي اليه ، الا هذا الفتى البائس ، فقد بقي وحيدا يجول الطرقات والشوارع . اذ انه لاول مرة نزل هذه البلاد، فدار حتى اعياه الدوران . واهتدى اخيرا الى فندق ، فدخله واكترى من صـاحبه بيتا القى عباءه فيه ، وارتمى على فراشه ، وكان قد نال منه التعب نصيبـه ، وغلبه النعاس وكسر اجفان عينيه ، فنام نوما مضطربا متقطعا لما مر عليه من المصائب والآلام

التعليم

٠٠٠ وقـام في صباح اليوم الموالي وتوجه الى الكلية الزيتونيـة يريد ان ينخرط في سلك تلامذتها ، فوجدها مكتظة بالتلامذة المزاولين للدروس ، فاعجبه ذلك المنظر ، واخذ من لبه ، وتمنى ان لو كان الساعة في وسط احدي الحلقات، وتحمس كثيرا، وبينما هو واقف في بهو الجامع ، سابح في تفكيره اذ مر عليه شاب زيتوني متوسط القامة . يرتدي قميصا وطربوشا ، عرف من ملابسه تلك ، انه ينتسب للقطر الجزائري الـذي خرج منه ذليلا كسير الفؤاد ٠٠؛ وانه الآن ولا ريب بصـدد التعليم ، فارتأى ان يساله عن كيفية الانخراط في التعليم ، ويأخذ منه ارشـادات علها تكون الدواء الناجع لبلوغ مناه

فاسرع اليه ، ومسك بطرف ثوبه ، مستوقفا له في احترام ، فالتفت اليه الآخر مدهوشا وقال له : ما بك ؟

فقال : أخي اني توسمت فيك خيرا ، وانت من طلبة الجـامع اطلب منك ان تدلني على التراتيب اللازمة التي انخرط بها في سلك تلامذته فاني غريب قد طوحت بي النوائب ، ولم اجد صديقا اشكو له بثي

وحزني ، ويساعدني على تفريج الكربات ، ويروح عن نفسي حتى تستعيد قوتها ونشاطها ...

وما انتهى الى هذا الحد حتى سالت عيناه بالدموع ، فبللت خديه لساهمين ، وتساقطت على ثيابه البالية ، فاغرورقت عينا ذلك الطالب ، وتسارع خفقان فؤاده . حنانا وعطفا عليه . وقال له : اخي مالي أراك قد تغلبت عليك الكآبة والحزن ، واستسلمت الى الاسى والضجر ..؟ فانهض وهيا بنا لنحرر مطلبا ونمضي به الى مدير الكلية كي يرسمك من التلامذة المنخرطين في التعليم .

فكف عبد اللطيف عبراته واحس بتيار الصداقة يسري في عروقه لذلك الشاب ، ومسك بيده وسارا معا ، فاخذا قرطاسا وحرر له الزيتوني المكتوب واعطاه الارشادات اللازمة ، وذهبا الى ادارة الكلية . فقابلهما المدير بالحفاوة والاجلال ، وقبل منهما مطلبهما ، فشكرا له أياديه البيضاء عليهما وفاءا فرحين مسرورين .

وهكذا اصبح عبد اللطيف مباشرا لدروسه بنظام واجتهاد فائقين ... ؛ وكانت له فكرة وقادة ، وذكاء حاد ، يضرب به المثل بين سائر زملائه .

وكان يزور الفينة بعد الفينة صديقه عبد الودود ذلك الشاب الذي

ربطته به يد المعونة والمؤاساة التي اسداها له ساعة تفيا ظلال الزيتونة لاول عمره بها ، ويتذاكران ماضيهما ، كما يلفتان انظارهما الى ما سيؤول اليه امرهما في مستقبل حياتهما ، فيخوضان فيه ردحا من الزمن ، ثم يكلان ذلك الى مشيئة الله وارادته ...

... وظلا كذلك يزور كل منهما صاحبه ، ويشاركه في افراحه واتراحه ، فلا يستطيع الواحد منهما ان يتاخر عن صديقه في يوم الراحة ووصلت بينهما اسباب الرابطة الاخوية ، وتمتن بين فؤاديهما حبل الصداقة المتين ، حتى سعيا في اكتراء بيت يجمعهما ليلا ونهارا ، واشتركا فيما يكتسبانه ويرتزقانه ، لا يعد الواحد منهما ان هذا الشيء له على حدة ، لا دخل للاخر فيه ، بل كل شيء بينهما سواء ...

... وهكذا استطاعا باعانة بعضهما ان يتغلبا على الكوارث ، وينتصرا على خطوب الزمن ، ونوائبه نوعا ما ، وان يتصلبا مع الايام ويستمرا في تعليمهما الى النهاية ، ودارت عليهما ادوار كادت تزحزحهما لولا ، ثباتهما وعزمهما النافذ ، وصبرهما الجميل ، وثقتهما بالله ، وايمانهما بقوله : (فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا)

الروضة الغناء

... وفي ضحى يوم من الايام كان عبد اللطيف في غرفته ، متكئا على منضدته ، مكبا على كتبه ، يغترف منها ، ويرتوي من مناهلها العذبة ويفكر في معانيها الدقيقة ، حتى اعياه التعب ، وبلغ منه النصب منتهاه ، وحمل الكرى بجيشه العرمرم ، وخيله العادية على عينيه ،وطفق يكسر اجفانهما وهي تقاومه ، وتابى ان تخضع لسلطانه ، ففكر في حيلة لابعاده وطرده ، وراى ان يذهب الى موضع تبتهج فيه نفسه ، ويسر فيه ناظره ، ويهتز له لبه ،ويخفق له جنانه ، ويبتسم فيه ثغره ، وتتفتح افكاره ، وتهيج شاعريته ، ويتسرب الارتياح الى روحه عند استنشاقها لهوائه الطلق ، ونسماته الصافية وزهوره الضاحكة .ولما خرج من بيته بداله ان هذه الصفات الرائقة التي مرت بمخيلته لا يمكن ان توجد الا في بعض الرياض الغناء

فنحا نحو روضة جميلة مقابلة للخط الحديدي المؤدي للقطر الجزائري المحبوب ، بجوار ضاحية ذات قصور شاهقة وابنية رفيعة، يقطنها الاشراف ذوو السيادة والجاه ، والتبسط في الثروة ، والسعة في الحياة ، وتشتمل على

دار الآثار التي تكون عبرة لمن اعتبر ، وذكرى لمن تذكر وتدبر . تسمى (باردو) .

وكان مشغول الفكر متبلبل البال ، يمشي في اضطراب وهو لا يشعر بنفسه حتى وقف بازاء هذه الحديقة الغناء ، المحاطة بسياج محكم ، والتي قامت بتنسيقها يد ملائكية بحتة . واختط شكلها مهندس بارع ، وكان زهورها مصطفاة من الجنة لاهلها .

فهي جديرة بان تفاخر العذارى بجمالها الفتان وحسنها البديع ورونقها الرائع . فبقي معجبا بنظامها الرائق ، وصنعها البهيج ....

المنظر الجليل

...وما هي الا دقائق حتى وقع بصره على ظل انسان يمشي في تبختر وكبرياء ، ومن غرائز النفس انها تريد الاطلاع على كل امر طلع عليها بغتة . فالتفت يمنة باحثا عن صاحب الظل الذي رآه اهو رجل ام امراة ؟ ثم اعاد نظره مرة تلو اخرى فوقع على قوام ممشوق فيه من الغصن طراوته ورواؤه، وطلعة مشرقة بطبعها كالشمس باسمة لبث الجمال في الكون كالامل ، عذبة لكل ذي حياة حتى الحشرات كحلم الشباب ، تبدو تارة، وتختفي اخرى ، وراء اغصان الاشجار وكمائم الزهور .

فزاده ذلك شوقا الى حب الاطلاع فتقدم يختلس الخطوات ليملا منها البصر ، فراى غانية تتكسر في ثوبها الحريرى الرجراج ، تمشي الهوينا بتيه ودلال ؛ فخالها الشمس اشرقت ترفل في قميصها الابيض الجميل ، على بساطها الازرق البديع، فابهته ذلك المشهد العظيم ، ووقع في لبه هذا المنظر الجليل الذي لم تر عينه مثله قط ، ووقفت الدورة الدموية في اعراقه ، وتصلب الدم في اعضائه ، وتجمد في شرايين قلبه ،

وتزايدت دقات فؤاده على عادتها المالوفة ...

... وتابعت الحسناء خطواتها المتثاقلة رافعة لراسها ، شامخة بانفها كانها مالكة العالم باسره ، الى ان وقفت امام زهرة فتحت اكمامها ، وانفرجت شفتاها عن ثغرها البسام ، وتعالت على سائر النباتات ، وتربعت ، على غصنها المتمايل ، يحسب الناظر اليها « وهي متطاولة على جميع الازهار » انها ملكة الورود المتصرفة في شؤونها والآمرة الناهية لا يشاركها احد، في هذه المملكة الواسعة النطاق ، البعيدة الارجاء ، المتشعبة الاطراف، ... فهي وحدها صاحبة السلطة والجبروت تدين لها الرقاب ، وتخضع لسلطانها ربات الحجاب ...

وما ان وقفت الغادة الهيفاء امامها حتى شدهت بما رات فيها من البهاء، والسحر ، ولكن سرعان ما ذكرت محاسنها التي جعلت كل جميل سواها متجملا ، فانقلب اعجابها بتلك الزهرة غيرة تلتهب في صدرها ففاهت في وجهها بكلمة ترتعد لها الفرائص ، زعما منها انها صاحبة النفوذ والقوة فكيف بها ترى هذه تريد ان تزاحمها في الملك، ، وتبسط حكمها على ربوع المملكة الطبيعية قائلة لها :

اانت التي تقولين : «انا ملكة الجمال،وسحر العيون ، وفتنة العقول ،... وروح الطبيعة التي لا تعيش بدونها ...» ؟

الحوار العنيف

....وما وقعت هذه الكمات في مسامع الزهرة حتى اصطكت لها ركبتاها ، وافعم فؤادها حقدا وبغضا ، ولكنها تشجعت واجابتها جواب من لم يبال بشيء .

نعم انا قائلة الكلمة التي تركت اثرها الفعال في خلدك ، والهبت نار الحقد بين جنبيك ، حتى جئتني بوجه عبوس مقطب الجبين ، ومقلة يكاد يطير شررها فيحرق الارض ومن عليها حسداوتيها .

فقالت الحسناء : خسئت ايتها الكاذبة المغتصبة من اين لك الجمال الذي تتبجحين به طول النهار ، والسؤدد الذي اردت ان تتسلطي به على بنات الطبيعة وربات الحجال ؟

اباوراقك المحمرة التي اذا مست بكت في يد قاطفها وذبلت وتناثرت ، وردته منقطع الرجاء ، كاسف البال ، خائب الامل ، يندب حظه من مقابلتك له مقابلة الحزن والياس ؟

ام بصورتك الظاهرة التي تفتخرين بها ظنا منك انك تجدين سوقا

رائجة فيقبل عليك المحبون ، وتجذبين قلوب المساكين ، وتغرينهم ببسماتك الكاذبة ، وتخدعينهم باشاراتك الزائفة من بعيد فتوقعينهم في حبائلك ؛ وتشغلينهم عن التفكير في الجمال الحقيقي الذي خلقه الله فملكه الفردوس واخافه الارض ، وتصدينهم عن مداعبة العذارى ، والسباحة في بحر الغرام ، والتلذذ بهوى قلوبهن ...؟

آه آه آه ! اف لك ايتها ... ايتها المجرمة

قولي بربك اي شيء فيك يبهر العيون ، ويستغل القلوب ، ويستهوي النفوس ، ويطير بالعقول ...؟

اني لاعجب كثيرا من فرع نشا من اصل خبيث ، فاصبح يعظم نفسه ويترفع الى درجة لم تجعل له ، ويريد ان يجاري بنات حواء ، ويزاحمهن في لطفهن ، واحساسهن و ... شعورهن و ... واحلامهن اللذيذة ... ، الست وليدة الشوك ، وحفيدة الغبراء ...؟

قالت الزهرة : ايه ..! اني لمسرورة جدا بكلماتك العذبة الخارجة من بين شفتيك من غير تدبير ، وهذا برهان قاطع على انك تتطفلين على الجمال الطبيعي ... وتتانقين الى مجد قلما وصلت اليه مثلك . وها اني احدثك بالحجة والدليل عسى ان تقتنعي وترجعي عن غيك وتعترفي بالجميل ...

أنا التي ارتوي بماء الطل وقت السحر فيستحيل ذلك الندى بين اوراقي شذى ينعش الارواح فتقصفني طاغية مثلك لتتجمل بي وما دريت انني لا اعيش من دون غصني الذي ولدت فيه ، فتعصرني وتاخذ عطري لتتحلى به ليلة عرسها عند ما تريقه على ديباجها لتظهر بمظهر جميل لدى زوجها فتأخذ منه وتملك لبه ...

ولا اقول اني اكسبها كل الجمال ... بل خلقها الله فاحسن صورتها اذ جعلها جذابة بعينيها السوداوين الساحرتين، وخط فوقها حاجبين يبدو سوادهما من بعيد في محياها الذي اقتبس اشراقه من الشمس ، وبيوضته من الحليب، وليونته من الدمقس، يقسمه الى شطرين انف يلوح لمعانه كانه بريق سيف مسلول، وجعل تحته ثغرا عندما يتبسم وتنفتح عنه شفتاها القرمزيتان كانه برق خاطف قد انشقت عنه السماء فاضاء الاديم في ليل حالك بهيم.

انه لا ينكر جمالا مثل ما وصفت الا من كفر بالله وجحد نعمته ، فهي الغادة الهيفاء المرموقة بعين الاحترام والاجلال خصوصا عند عاشقها المستهيم بها الذي يسكنها بين جوانحه ومحبها الذي لا تطيب له معيشة بدونها لانه يحس بان روحه مكتوبة في صفحة الوجود بحياتها فهي عينه الباصرة وفؤاده الذي اذا فارق جسمه فارق الحياة لا تلذ له الدنيا الا اذا حل ساعديه فطواها ولا يطرق عينيه الكرى الا اذا ضمها الى صدره،

والوى ساعديه على عنقها العاجي ، ودخل في فرعها والدجى ، عند ذلك يطمئن ويطيب له المنام ، ويقبل على الحياة بنفس تواقة .

ما اسعد الحبيبين عند الضم والعناق ...! واشقاهما عند الفراق، وما اسعد روحين امتزجتا في جسد واحد ...!

ولكن الست تتذكرين ان كل منتزهاتك وكل مجتمعاتك مع حبيبك في اي وقت كان وفي اي مكان كنتما ، لا يطيب لكما المقام ، ولا يطول بكما المُقام ، الا اذا كنت بينكما اعبر بعطري الاريج عن سركما الصامت... عن ... عن ... عن حبكما اللذيذ ... عن عواطفكما الحساسة ... عن نجواكما الروحي ... واكون في ذلك الحين رسولا بين قلبيكما الموتورين، ونورا متولدا من سلكي الكهرباء التي محملها قلباكما وانا السر في كنه حقيقة الجمال اذا كنت بينكما وانتما تتناجيان.

فتنهدت الحسناء وتاوهت تاوهات عميقة آه آه آه ... وقالت :

لقد انقذتني من سبات عميق واقنعتني ببراهينك الدامغة فلقد ادركت حقا بان حياتي مقرونة بحياتك، وحسني في صمتك، فمدي يدك لاصافحك على ان لا حياة لي بدونك، وان لا حياة لي ولك الا اذا كنا في جو طليق، وحرية كاملة. اما اذا كنا تحت اوامر غيرنا، وتحت ضغط وعبودية الذين لا يفهمون للحياة معنى، ولا يقدرون للحرية والجمال قدرهما . فلا حرية

ولا جمال ، ولا سعادة .

وما وصلت الى هنا حتى ختمت كلمتها رافعة صوتها الرخيم بقولها :
«عاش الجمال ، وعاشت الحرية »

الإغماء

منذ وقوف عبد اللطيف على هذا المنظر الرهيب ، وهذا الحوار العنيف ، لم يعد يشعر بنفسه ، ولم يدر اهو في حالة اليقظة ام في اضغاث احلام ... ؟ حقا انها لساعة ، وانها لحال ، وانها لوقفة هي الى الاحلام اقرب منها الى الحقيقة ...

وما ان طرقت اذنيه كلمة الحسناء « عاش الجمال ، وعاشت الحرية » حتى اغمي عليه . وسقط الى الارض وظل يضطرب ويحفر برجليه ، ويضرب بيديه الى التراب

وكانت الحسناء قد فارقت الزهرة وجاءت تمشي في مماشي الحديقة تتامل في نباتها وخضرتها الناضرة حتى وقفت عند باب السياج فلمحت من ورائه فريسة مطروحة

وكانت الفتاة عريقة النسب شريفة الاصل ، فاهمها امر ذلك الشاب الصريع ، ونظرت اليه بعين ملؤها العطف والحنان ، وادبرت تعدو الى قصرها الشاهق وتنادي على خادمتها بصوت كاد يختنق . سلمى . سلمى

اسرعي الي . فاجابت الخادم نداء سيدتها وجاءت مسرعة كالبرق الخاطف وقلبها يختلج عما اذا اصاب سيدتها ضير ، او دهمها خطب. ولما وصلت اليها امرت بان تعينها على حمل تلك الفريسة المجندلة ، فامتثلت الخادم امرها واعانتها عليها وهي لا تفقه سر ذلك . فحملت السيدة وخادمتها الشاب وادخلتاه الى غرفة خاصة من غرف القصر ، ووضعتاه على فراش حريري فوق سرير من نحاس مذهب . وامرت السيدة خادمتها سلمى بان تحضر لها زجاجة عطر ، فاحضرتها لها في الحين. فاخذت تريق عليه العطر وتمسح براحتها الناعمة على جبينه ، حتى افاق شيئا ما ، وفتح عينيه فوجد نفسه ، في بيت غير بيته ، وغرفة ليست هي بالقريبة الشبه من غرفته كما الفى نفسه بين ذراعي فتاة لا عهد له بها ولا تمت اليه بصلة . ففهمت الفتاة ما اختلج بضميره، وادركت ما تنطوي عليه نفسيته في هذه الآونة ولكنها استغربت في مصابه ، وما ادي به الى الاغماء . فاصرت على أن تقف على حقيقته ، وجلية امره ، وتتوصل الى معرفة بلاده ونسبه ، حين ما يستفيق ويستجمع قوته. وراحت تنضح عليه الماء حتى استفاق ونهض من مكانه، يرتعش ويرتعد ، حيث تحقق انه في غير بيته ، وما درى من اتى به هنا ، واصبح خائفا مذعورا من ان يتهمه اهل القصر بانه حبيب الفتاة ، وما لقاؤهما هذا الا على موعد كان بينهما

فسبق الى ذهن الفتاة ما حل بفكره ، وكانت على جانب عظيم من الذكاء الحاد ، والفكر الثاقب ، فجعلت تروح عنه ، وتطارد عن افكاره ما مر بها من اوهام .

التعارف والمداعبة

... ولما استجمع الفتى قوته ، ارادت الغادة الهيفاء ان تستكشف امره ، وحقيقة حاله، فبادرت تسائله بثبات ولطف فقالت: ايها الشاب الظريف اما تتكرم علي وانا طبيبتك الرحيمة بك ، بسرد حكاياتك علي . حتى اكون على علم بمصابك . فتحير عبد اللطيف . وعلت وجهه حمرة ، وخاف ان بسط لها حادثة يومه . ان تطيش سهامها فتنفذ في اعماق قلبه ، وهو يعلم انه فقير غريب ، لا يستطيع ان يخوض امواج بحر زاخر ، لا منفذ منه ولا مفر. فبقي يفكر في مسلك يتخلص به من الجواب عن هذا السؤال لذي هو مفتاح باب المعمعة . ومن فتح الباب بنفسه. فلا ريب ان يكون اول داخل . فادركت الغانية ما تلجلج في صدره . فعاودته السؤال بالحاح فاستسلم وقال: هل تذكرين ما كان بينك وبين الزهرة من حوار قبل هذه الساعة ...؟

...؟ فقالت : اجل . وهل انت عارف بما جرى بيننا

فقال اي والله ...! وذلك ما ادى بي الى الغشيان

— وما هو حكمك بيننا ان كنت على فهم مما كنا فيه ...؟

— وكيف يتسنى للقاضي ان يحكم بين خصمين متراضيين ...؟

— وهل يعجبك ما تراضينا عليه ، وهل توافق عليه ...؟

— وكيف لا ...؟ وقد تصافحتما على انك لا تعيشين بدونها ، ولاهي خلقت بشذاها الاريج الا لرفاهة سيدتي وسعادتها . فاني على يقين من انها لم تبرز للوجود الا لتهنيئة الحبيبين ، وزيادتهما شغفا وتعلقا ببعضهما

— سامحك الله من شاب ظريف يرمز للاشياء من بعيد

— سامح الله سيدتي من فتاة لطيفة تداعب فترمي بسهمها في اعماق القلوب .

— بربك قل لي ما اسمك ؟ ومن قومك ؟ والى اي بلد تنتسب ؟

— ما حاجة سيدتي بهذا كله ؟ اني لا حقر الناس على وجه البسيطة وقومي اضعف الخلق وبلادي منشا البؤس والشقاء ...

فلم تبال العذراء بما ذكر لها بل زادها ذلك تطلعا وشوقا الى معرفته

— واني احن واميل الى البؤساء والاشقياء اكثر مني الى الاغنياء الاثرياء الذين لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة على اولئك المساكين ...

— اذن فنحن اخوان اجتمعنا بعد فراق والتقينا بعد هجر طويل

— انها سنة الله قضت ان يتآخى البؤساء و يعطف المنكوبون على المساكين

— حقا وهو الشان الذي جعلك تعطفين علي ولم تدعيني خارج السياج سخرية للمارين

— طبعا ان اولئك الذين لا قلوب لهم ولا شعور، هم الذين جلبوا الشقاء الى الضعفاء

— آه . لقد زدتني حنانا ورقة الى نفسك الطاهرة ، وروحك الخفيفة ، حتى اصبحت احس باني لا اطيق فراقك ، والصبر عنك، فقد سلبت شعوري ، ونزعت قلبي من جسمي ، واني الآن اخشى ان تعتدي علينا عاديات الدهر فتفرقنا بعد ان آخت بيننا

— نحمد الله على جمع شملنا ، ونساله ان يمتن حبل الصلة بيننا وان لا يجعل حجر عثرة في وجهينا ، حتى نظفر بالمراد ، واملل علي اسمك لانقشه بين طيات قلبي ، وامتع به نفسي ، بعد خروجك من عندي ، وغيابك عني ٠

— اسمي عبد اللطيف ابن فلان نشا بقرية من القطر الجزائري الشقيق

— لقد قرن الله بين اسمينا فكيف نفرق بين قلبينا فو الذي نفسي

بيده ما وقع التوحيد بين اسمينا الا ان رب العزة الف بين قلبينا . فراقه كلامها وانفتح قلبه لما تقوله وتطاول بعنقه اليها وقال : وما اسمك ياسيدتي ٠٠٠ ؟

— لطيفة ابنة فلان

— ايه والله ٠٠٠! انك لمن الطف الغواني واكرمهن ، واجمل الظباء والينهن ، صاحبة شعور حساس ، وعزيمة قوية ، وسريرة صافية ، وفكرة حادة ، ونسب شريف ٠ وقام فمد اليها يده ليودعها ، فقبضت على يده وضمتها ضمة اهتز لها عرش لبه ، وتحركت لها اوتار قلبه المسكين، والحت عليه ان يتلاقيا كلما سنحت الفرص ، فاجاب بالسمع والطاعة ، وخرج وهو خائف من ان يتسلط على قلبه ما يسمونه (الحب) وما خاف منه وقع فيه ٠٠٠

الحيرة والقلق

عاد الشاب يدفع نفسه دفعا نحو غرفته ، وهو مشرد الفكر مبلبل البال ، اذ اصبح بين تيارين يتقاذفانه :

فتيار التعليم يحفزه الى القيام بما هو مغترب لاجله ، حتى يتسنى له ان يرسم طريقة نجاته ، ومستقبل حياته .

وتيار الحب يصور له كرم تلك الفتاة النبيلة ، ويدها البيضاء عليه ، ويدفعه الى الوفاء بما وعد .

وعزم الرجوع الى تلك الغانية التي احسنت اليه ، ليقابل اخلاصها بالمثل ، حتى لا يكون مصداق قول الشاعر :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته

وان انت اكرمت اللئيم تمردا

خصوصا وان الاحسان كان من طرف جنس لطيف ، يستحق ان يقابل بالحفاوة والاجلال ، وجدير بان يتقبل بصدر رحب ، وقلب منشرح .

وهكذا تتابعت الافكار على صاحبنا ، وظل بين صراع دائم ، وخطر داهم ، حتى ولج غرفته ، ومثل بين زملائه ، ومن بينهم خليله عبد الودود ، وما وقعت ابصارهم على جسمه المكدود ، ووجهه المصفر ، حتى هرعوا اليه ، واسرعوا بالسؤال عما اذا اصابه ضير . فثقل لسانه عن الرد ، واطرق برهة من الزمن محتضنا راسه بكفيه ، يفكر في مآله ، ويتدبر في مصيره ، ودام على هذه الحال ردحا من الزمن ليس بالقليل ، فاقلق اصحابه منظره ، وهالتهم حالته ، وتحيروا له ، واصابتهم دهشة عظيمة ، فاحاطوا به يستفهمونه عن امره ، وظنوا ان به نزلة او حمى .

فاجاب بكلمات متقطعة . اني . مر .... س .... عا .... د .... تلتها تاوهات صادرة من اعماق قلبه . آه ، آه ، آه ....! وارتمى على فراشه تتقاذفه الافكار ، ويتجاذبه الخيال ، بتشخصه لتلك الحسناء التى لم تقع عينه على مثلها قط . ولفرط ما احتوت عليه من الاخلاق الجليلة ، والخلال الحميدة ، من لطف في الدعابة ، ولين في الحديث ، وخفة في النفس ، ورقة في الشعور ، وحنين الى البؤساء والمساكين ، وشفقة على المنكوبين ، والمصابين .

هذه هي الصفات التي جعلته اسيرا لها ورهنا لقولها :

« اني احن الى البؤساء والاشقياء ، اكثر مني الى الاغنياء الاثرياء »

وماذلك الا برهان على احساسها العاطفي ، ووجدانها الرقيق ، وبقي يردد كلمتها بين شفتيه حتى خيل ازملائه انه اصيب بخبل في عقله . وكيف لا وهو المعجب كل الاعجاب بهاته الكلمة الرنانة التي نزلت على احشائه بردا وسلاما ٠٠٠؟

...ثم لما تمادى في صمته تقدم اليه صديقه عبد الودود وناداه بكلمات ملؤها العطف والحنان . صديقي عبد اللطيف . صديقي عبد اللطيف. فاجاب نداءه وفتح عينيه وقال له :

خذ بيدي واعني على القيام . فاعانه حتى تقاعد واستوى جالسا ثم قال له :

صديقي العزيز . مالك تستسلم للافكار والهواجس تلعب بك كما تشاء ، وتخضع للنوائب والرزايا تتغلب عليك ، وتتسلط على ارادتك القوية ، وعهدي بك لك عزم ناقذ ؟

فقال : عزيزى عبد الودود . ان لي اسرارا اريد ان افضي بها اليك ، لانك الخل الودود . والصديق المعين ، ورحم الله من قال :

سلام على الدنيا اذا لم يكن بها
صديق صدوق صادق الوعد منصفا

وانما اخترت اطلاعك عليها لتتحمل معي عبء هذه المسؤولية الكبرى

ولعلك تكون معينا لي فيها ونصيرا .

فاجابه عبد الودود : بعد اطلاعي على السر سنتعاون على البر والتقوى ، ولكني اريد ان تلازم تعليمك ، وتعتكف على دروسك ، فمستقبلك زاهر ، وكاني بك تحت ظلال السعادة واشجارها الوارفة ، وقصورها الشامخة ، في بحبوحة العيش تمرح وتلعب ، وكاني بطير الهناء يرفرف على راسك ، ويغرد بالحانه المطربة ، واصواته الحنينة ، التي تبعث في النفس اهتزازا ، وفي الروح طربا وارتياحا . وقد كونت لنفسك بفضل مجهودك حياة هادئة مطمئنة ، تجعلك راضيا على حالتك الراهنة بما تحصلت عليه بمجهوداتك الجبارة ، وتحملك للاتعاب والمشقات ، ولسهرك الليالي الطوال ، وركوبك متن الاخطار ، للتحصيل على الثقافة الموصلة الى طريق الحياة والنجاة .

... ثم لما انتهى من نصائحه الثمينة ، اشار الى بقية الزملاء بالخروج ، حتى يصفو لهما الجو ، ويفسح لهما المجال ، ويفضي الصديق الى صديقه باسراره الثمينة ، التي عزم على افشائها اليه ، ورام ان يجعله مكمن سره ، وخزانه لئالئه الغالية وخفاياه ... ...

كتمان السر

... ثم طفق يقص عليه خبر يومه ، وحكاية حاله ، من اول واقعة حتى اتى على آخرها كل ذلك وعبد الودود يحرك راسه من اعلى الى اسفل ، ويبدو على ملامحه انه استغرب ان تقع لعبد اللطيف مثل هذه الواقعة ، ثم مد يده اليه قائلا له : كن واثقا بان سرك لا يعدو نفسينا حتى يقضي الله امره

... ثم قام الصديقان وتوجها نحو منضدة المطالعة واخذ عبد الودود كتابا وجعل يقرا وعبد اللطيف يسمع ، حتى آن اوان العشاء فذهبا الى مائدة الطعام ، وتناولا عشاءهما البسيط ، وعادا الى مطالعة دروسهما

ولما اصبح الصباح ذهب كل منهما الى الجامع يزاول دروسه على استاذه، ولا زال طيف الحسناء يمر على مخيلة الشاب بين الآونة والاخرى، وكلما تذكرها حدثت له رجة عظمى

وبقي الصديق الحميم ، يحمل معه شطر هذا العبء الثقيل ، ويبالغ في كتمان سر صديقه . ودام عبد اللطيف مكبا على دروسه لكن لا على الطريقة السالفة ، ولا على السير القديم . كيف وقد

شغلت الفتاة الهيفاء قلبه وقد اصبح يزورها في كل اسبوع ، واعدت له مكان اللقاء ، وهو مكان يزيد في رقة الحبيب وعطفه ، وميلانه الى حبيبته وحنينه الى عينيها الذابلتين ، وحديثها الحلو الجذاب .

انه عش مهدته ، بل عرش للحب اقامته ، بين شجر البر تقال والليمون ، وشجر الصنوبر والياسمين ، بين اشجار الزهر المحيطة به من كل جانب

هناك تحت شجرة البرتقال ، وفوق زربية من مفوف المشب يجلسان ، ويتذاكران ويتناجيان ... وامامهما زرافات الطيور والبلابل ، والعصافير تتغنى بنغماتها المختلفة الساحرة

وهناك ... وهناك ... وهناك في ذلك المكان الجميل ، وفي تلك اللحظات الثمينة تنزل السكينة ، وتتعانق الروحان ، وينشرح الصدران ، وينفتح الفؤادان ... تلك آونة السعادة ترفرف عليهما كامل ذلك اليوم الذي فيه يجتمعان وما اقصره يوم ...! حتى كاد عبد اللطيف لا يبارح ذلك المكان ، واصبح يفكر في الانقطاع من التعليم ، لولا ان الفتاة كانت ذات شرف نبيل ، ونسب عريق ، تحثه عليه، وتساجله مساجلة الادباء «اذهي على جانب عظيم من الثقافة والادب» لما استطاع ان يستمر في تعليمه ، وان يحصل على ذلك المستقبل الزاهر . وسترى ايها القارىء

لحزين حياته السعيدة، وعيشه الرغيد، الذي اصبح عليه بعد ان كان في ضيق شديد. ما احسن المرأة التي تكون على هذا الخلق النبيل، وهذا الشعور الرائق، وهذا الاحساس الرقيق ...! وما الطفها نفسا واخفها روحا ...! وما اكرمها مجدا واعظمها شرفا ...! انه لخليق بها ان ترفع راية العفة والطهارة، وتضرب مثال الحب النقي الطاهر في المجتمع النسائي.

وانه لحرى بكل عاقل مفكر، ان يقف متعجبا امام هذه الفتاة التي قل مثلها من بنات حواء.

فهي بالرغم من الهوى الذي ملك لبها، واستولى على مشاعرها حتى الى ان وصلت الى حالة لا تطيق معها الجلد، على فراق عشيقها، ولا يعلم الا الله ما تنطوي عليه نفسيتها من الشوق اللجوج، وما تحمله بين جوانحها من صبابة ولوعة. ونار تتلظى بين جنبيها. وما تكنه في صدرها من آلام الفراق. حتى اصفر محياها الناضر، ونحل جسمها اليانع. وذبلت عيناها البراقتان. وسهم خداها الورديان، ولا تعود اليها اناقتها وصباحة وجهها الا عند اللقاء، وتبادل الضم والعناق، وتبريد حرقة الوجد والاشتياق! تراها تكبح جماح عواطفها، وتقمع نفسها، وتتحمل كل تعب ونصب، وتصارع سلطان الحب حتى لا يلعب بها، ويقف حجر عثرة

في سبيل مستقبلها، وما تؤمله لحبيبها او (زوجها) ان سنحت الظروف، واستجابت الاقدار، وغفلت العراقيل، ونامت عين الواشي والرقيب، وغلت يد الدهر الاثيمة، وتمت الاماني وتحققت الاحلام.

الصيف

ذهب الربيع وحل محله الصيف ، واصبحت الغزالة ما تكاد ترتفع من محل بزوغها ، حتى تبعث اشعتها ، وتبسط لهيبها على الاديم، فتحرق الاعشاب ، وتصيرها هشيما تذروه الرياح ، واشتد القيظ على جميع المخلوقات ، حتى ارغمها على الفرار من الحرارة ، والانتقال الى جهات الانهار ، وشواطىء البحار.

واذا ماكانت الحيوانات لا تطيق الحرارة، و تسرع الى نواحي البرودة ، فكيف بالانسان الذي له عقل وتفكير ...؟

اجل، كان الاثرياء من بني الانسان يعدون مساكن للصيف ، واخرى لبقية فصول السنة ، ويشتغلون بمساكن الصيف ، فيجعلون امامها الرياض الغناء بما اشتملت عليه من الاشجار ذات العطر الاريج

وكان لوالد لطيفة منزل فخم ، ينزله وقت الصيف يقرب من شاطىء البحر وينتقل اليه متى حل الصيف.

وكان من عادات جل نساء هذه البلدة ان يخرجن عند اشتداد

الحر الى السباحة في البحر ... وهو مورد الناس على اختلاف طبقاتهم، ومن لم يكن له منزل هناك، اخذ زاده، ويقضي كامل يومه على الشاطيء، ولا يرجع لمنزله الا ليلا .

وكانت لطيفة من اللواتي يحبذن السباحة ويشتقنها « طبعا » . اذ هي لا تزال في عنفوان الشباب ، وريعان الفتوة ، خصوصا وان منزلها يقرب جدا من البحر ، وظلت تقضي عشاياها على نمط خاص لا يتغير الا لطارىء ما : تذهب فتبترد ، وتعود فترتدي ثيابها الانيقة ، وتخرج الى روضتها لتتنسم روائح العطر ، وتحاكي العصافير في تغريدها ، وتباري الازهار في حسنها الطبيعي

... وهناك في الروضة صخرة على صنع المقعد تحت شجرة من اشجار الياسمين . كانت تجلس فوقها ، وتطلق العنان لهواجسها وكان تفكيرها لا يدور الا على محور واحد ، هو التفكير في عبداللطيف، وابتعادها عنه .

وكان عبد اللطيف منذ تحولها مع اهلها الى منزلهم الصيفي، مشغولا بالتحضير الى امتحانه ، وبذلك قلت زياراته لها ، وبالرغم من ذلك كله ، فان طيفها لم يبرح مخيلته قط . وما ان اتم امتحاناته ، واسفرت نتيجته على نجاحه الباهر ، حتى تطاير فرحا وسرورا ، واشتاق لقاء حبيبته ،

ومفاجآتها بخبر نجاحه ليحقق ظنها فيه ،وهي الظماى لهذا الخبر السار .

... ثم ذهب الى صديقه عبد الودود ، واعلمه بانه عازم على زيارة عزيزته ، فقد لبث عنها طويلا ويخشى عتابها له ... وودعه الى المحطة فامتطى القطار ، وتوجه الى شاطىء البحر ، حتى وصل اليه ، فنزل وانتحى موضعا للابتراد ، مسامتا لقصر الحبيبة ، وما ان وقف على ضفة البحر ، حتى بدا له شبح وسط الماء ، فالتفت هنا وهناك فلم يجد بجواره احدا يستفسره ، ووقعت في نفسه حيرة ، وارتبك في امر ذلك الشبح الذي تراءى له وسط الامواج من بعيد ...وبحث طويلا وتامل مليا فرآى شعرا طافحا على سطح البحر ، واختلج ضميره ، وظنه انسانا غريقا فنض ثيابه ورمى بنفسه في الماء يريد ان ينجده ويخلصه من الغرق.

ولكن ماهذا الشبح الذي لايتمالك عبد اللطيف ان يخاطر بنفسه لينجيه من الغرق ؟ ومن هو هذا الانسان الذي اهتم به وحرص على حياته حرصا لم يعرف مثله ولا سببه بل دفعه دفعا ليلقي بنفسه في الماء بسرعة البرق من غير تريث لانجاده ؟؟

هو ذلك الامل الوحيد ... والرجاء المترقب الفريد ...، الذي عليه علق حياته ، واناط مستقبله ...

هي ... هي لطيفة المسكينة التي امتدت لها يد الدهر

الاثيمة ، وارادت اختطافها من بين يدي حبيبها ... هي الفتاة الكريمة الحليمة شاءت الايام ان تقصف حياتها ... لولا ذلك الشاب المدين لها الذي كان يوما ما فريسة مطروحة ، فاشفقت عليه وادخلته الى منزلها ونضحت عليه انواع العطر حتى استفاق من اغمائه . وها هو الآن ينقذها مثل ما انقذته ويجازيها باعظم مماجازته به هي .

اغرمت الفتاة بالسباحة اذ وجدت فيها سلوى وتلهية عن هذا الجيشان الذي بدأ يلهبه في احشائها سعار الحب ، حتى اصبحت لا تصبر برهة من الزمن ، واعجبها حذقها فيها ، وظلت ذات يوم تسبح وتبتعد في البحر ، حتى فاجاتها عاصفة من الريح لعبت بالامواج ،فاستولى عليها الجزع ، واحست بفشل في اعضائها ، وولت وجهها نحو الشاطىء ، واعملت ساعديها ورجليها فلم تتحرك بعيدا ، واشتدت الامواج وتكاثرت وما تقدمت الفتاة قليلا الى حافة البحر الا رمت بها بعيدا بعيدا..، فكافحت حتى اعياها التعب ، واضناها الياس ، واستغاثت فلا مغيث ، ثم استسلمت للقضاء والقدر ، مرتلة اسم حبيبها الغريب ، عبد اللطيف . عبد اللطيف تكرره المرة تلو الاخرى وتود ان تلفظ نفسها الاخير على ذكره

رمى عبد اللطيف بنفسه وسط الماء كما اسلفنا ، وجعل يصارع الامواج ويضحي بنفسه في سبيل انقاذ هذا الغريق المسكين . وهولا

يدري من هو ولا فكر في النتيجة التي تحصل له من وراء اجهاده نفسه لاجله ، وانما هو دافع انساني حفزه الى ان يثب وينجي هذه الآنسة التي تغلبت عليها الامواج وارادت ان تتركها لقمة سائغة الاسماك .

وما هي الا لحظات مرت كالبرق الخاطف حتى كانت الغريقة على كاهل عبد اللطيف ، وهو يقذف الامواج بساعديه عائدا الى ضفة البحر وفي تلك الاثناء كانت اسرة الغريقة تتحلق حول مائدة الغذاء ، فاذا بها تفقد فلذة الكبد وعزيزة القلب (لطيفة) فلم تطمئن الاسرة لفقدانها وقامت امها الى النافذة المشرفة على الشاطىء فاطلت عليه ؛ فبدا لها عبد اللطيف سابحا متقدما باسراع الى سواء البحر ؛ منجدا غريقا تبديه الامواج الصاخبة تارة وتخفيه اخرى ، فصاحت معولة في ذويها ان اسرعوا فالبنت غريقة. وقام في المنزل بكاء وضجيج ، وبرزوا مذعورين مهرولين الى الشاطىء.

وما كادوا يصلون حتى وقعت ابصارهم على الشاب يحمل الفتاة ويصارع اللجج الزاخرة ، والامواج المتلاطمة ، فهتفوا به يشجعونه ويدعون له ، وبينما خاض الاخوة البحر لنجدة الشاب ، ارتفعت من الام والاخوات الاصوات ، وتكاثر الشهيق واشتد النحيب .

ولكن من حسن الحظ ان دن الشاب يحسن السباحة واستطاع

ان يتغلب على الامواج والعواصف ، ويلقي الغريقة بين يدي اهلها خارج الماء منهوك القوى ، فاستولى الكمد الممض على جميع افراد الاسرة ، وخمدت انفاسهم لهذه الواقعة الهائلة الرهيبة ، وحسبوا الفتاة ميتة لا محالة .

وجاءت الام تبكيها وتندبها وتقدم الشيخ (ابوها) فاحتضنها ، وحملها الاخوة الى قصرهم بعدان مددوها وعالجوا اخراج مياه البحر من جوفها بالطرق الاعتيادية ، كما اصطحبوا معهم الشاب الكريم عبد اللطيف الى المنزل ايضا واجلسوه على فراش وثير حتى فاءت اليه انفاسه واشتغلوا بالفتاة ولم يفتا هو يتطلع اليها في استحياء ، وعيناه تسيلان بالدموع لما عرف لطيفة ، وتذكر ان عين الدهر لا تنفك تصفعه بكوارثها المؤلمة ، وان يده لا تكف عن رميه بالنكبات ، خصوصا وانها اصابته في اعز عزيز لديه . الا وهي متعلق الامل ومناط الرجاء ...!

ولكن بقي بصيص من الامل في حياتها ، فجعلوا يطوون اطرافها ، وينشرونها ، ويقلبونها ويريقون الروائح على محياها المصفر الذابل وينضحونها على جثتها الهامدة ، ويمسحون على جبينها الوضاح حتى تحركت نوعا ما ، ولم يزالوا كذلك حتى عادت لها روحها ، ورجعت اليها انفاسها ففتحت عينيها والفت عبد اللطيف شاخصا اليها تبدو

عليه الكآبة والحسرة ، ورمته بنظرة الشفقة والحنان ، ولاحت على شفتيها ابتسامة الفرح بنجاتها ولقاء حبيبها ، وحياتها لهنائه وسعادته .

ليلة سعيدة

... وبعد سويعات نهضت لطيفة من فراشها ، وذهب عنها السقم وعادت الاسرة الى ارتياحها ، وطمانينتها ، وفاهت بعبارات الشكر والثناء للشاب ، وقام الجميع الى تناول الطعام مع ضيفهم بكل حفاوة وتجلة واكرام، وسمات الطرب لائحة على وجوههم،وفي متناول الطعام سرى حديث بين الشاب وبين والد الفتاة الشيخ (فلان) وتجاذبا اطرافه ، حتى سال الرجل صاحبنا على شخصيته ،ونسبه ، ومهنته،فاجابه عن كل ما طلب منه بمزيد بيان .

وبعد الانتهاء من الطعام عزم عبد اللطيف على الخروج ليعود الى مسكنه ، فتعلقت به الاسرة وابت عليه ذلك والحت عليه بان يقضي الليلة عندها . فتنازل عند رغبتها ووجدها فرصة سانحة لمحاولة الاختلاء بحبيبته ليعلمها بنجاحه في الامتحان ، وليتبادلا التهاني ، وتتناجى الروحان وتحيط السواعد بالعنقين ، وتنضم الشفاه الى بعضها عادة كل عاشق ولهان، وعشيقة معذبة عندما يتراضيان بعد هجر ، او يتلاقيان بعد غياب طويل...

... وكان ما اراده حيث انفض المجلس وتفرق الجمع وذهب كل الى

اشغاله ، ووكلت العائلة الى لطيفة واخواتها الصغار مؤانسة الضيف بالتفسح به في الحديقة وايقافه على ما فيها من جمال ، فخرجن به اليها حالا وجلن طويلا ، واخيرا بحيلة لبقة تخلصت لطيفة من اخواتها ، ومالت بحبيبها الى خميلة لفاء

وهناك جلسا على بساط سندسي من الاعشاب حيث تحيط بهما اشجار الياسمين باغصانها الملتفة ، وتخفيهما عن كل ناظر رقيب ، ويامنان عين كل واش حسود ...

هناك جلس عبد اللطيف وفتح ذراعيه ، وارتمت لطيفة على صدره فلوى عن جسمها الناعم ساعديه ، وضمها اليه ضمة من احرقه الوجد ، وانهكته الصبابة ، وعانقها عناقا طويلا ، ووضع شفتيه على شفتيها القرمزيتين ورشف من كاسها الذهبي وثغرها اللماع رشفة لذيذة تمش الروح وتكون الدواء الناجع للجسم العليل ، وداما كذلك زمنا ليس بالقصير تعطلت فيه لغة الكلام وتخاطبت العيون ، وتواصلت اوتار القلبين ، وتماست احاسيس الروحين ، وهمدت كل حركة من الجسمين ، ولم تبق الا دقات الفؤادين وخفقانهما .

فياله من حب ملك المشاعر والالباب ...! وياله من سلطان متحكم جبار ...! ويالها من ليلة سعيدة لم يحلم بها هذا الغريب المنكوب ...!

ويالها من عشية يجدر بها ان ترسم في طليعة ايام سعادته وتنقش على صفحات تاريخه ...! وخليق بعبد اللطيف ان يتمثل بقول الشاعر في مثل هذه العشية التي طلع فيها نجم سعده بآماله التي طال ترقبه لها :

وعشية كم كنت ارقب وقتها

سمحت بها الايام بعد تعذر

وقضى الحبيبان بقية ذلك اليوم يتناجيان ويتذاكران الماضي البعيد بما اشتمل عليه من نوائب الزمن ، واهوال الدهر ، وخطوب الايام ، ويسطران خطة مستقبلهما المزدهر السعيد ، ويمما وقت العشاء شطر القصر اين اجتمعا مع الاسرة على مائدة الطعام ، وقضيا معها سهرة جميلة ، وفي نهايتها كلفت العائلة لطيفة بتمهيد فراش الضيف ببيت خاص اعدته له ورافقته اليه . وقبل توديعه وعدته بزيارته ليلا خفية . وهكذا ما كادت توقن باستيلاء النوم على جميع العائلة ، حتى هرعت اليه وقضت مع حبيبها ليلة بيضاء ، ولم تفارق حضنه الى مخدعها الا عند بروز تباشير الفجر .

الانتصار الباهر

جاء النهار فطرد الليل، وزحزحه وحل مكانه، وطلع الفجر فمسح عن غرته ديجور الليل، وظلامه الحالك البهيم. وانكشف الستار عن الحبيبين، وانقضت ليلة سعادتهما، فما اقصر ليالي السعادة ...! وماطول ليالي الشقاء والبؤس ...!

قام عبد اللطيف من نومه وتناول القهوة مع الشيخ واخذ الشيخ يحدثه ويظهر له بانه مدين له فيما قام به من نجاة ابنته من الغرق

وبعد ساعة استاذن عبد اللطيف في الانصراف فاذن له الشيخ بعد الحاحه عليه بان لا يتاخر بزياراته اليه.

خرج صاحبنا مستبشرا مسرورا، واحس بان الايام دارت دورتها اليه، وان الدهر غض عنه، وآض فرحا جذلان الى صديقه، وقص عليه خبر حكايته فتاثر لها اولا وطرب اخيرا

وبقي يتردد على الشيخ وابنته ويتقرب اليه حتى اخذ بمجامعه، واصبح الشيخ يحبه حبا شديدا لما الفى فيه من النباهة واللطافة وحسن الخلق وكان الشيخ من الذين لهم باع طويل في الثقافة العليا. وكثيرا

ما يباحث الشاب في امراض المجتمع الاسلامي وما ادى به الى التدهور في الاخلاق، حتى استباح الزنا. وتناول الخمر وغيرهما من الفواحش فيجد منه البيان الكافي والجواب المقنع. ومما بينه له من دواعي الزنا المغالاة في المهور الى درجة يعجز عنها اكثر طالبي الزواج. فيترفع الموسر عن زواج ابنته ممن لا يبذل لها مهرا فاحشا لما يرى في ذلك من المهانة والعار يضطر الرجل الى الزنا، والزنا يجره الى شرب الخمر وتعاطي الخمر يفسد العقول ويؤدي باهلها الى الافتراء وارتكاب الجرائم العظمى كما ينتج عن المغالاة في المهور اضطرار المراة الى الزنا لتجعله رائدها ووسيلتها الوحيدة في تكسب المال لاشتراء الثياب الرفيعة والحلي ليمكن لها ان تضاهي زميلاتها (الارستقراطيات) وتفتخر على قريناتها وهكذا تفشى هذا الداء العضال

فاعجبت الشيخ هذه الفكرة واطربته كثيرا حتى قام وقبل بين عيني عبد اللطيف، وتاتي الفتاة فتشاركهما في الحديث وتدلي بآرائها

وهكذا استطاع عبد اللطيف ان يصادق هذه الاسرة باجمعها وان يقع في قلوب جميع افرادها فيحبونه حبا متزايدا

وواصل تعلمه بكل اجتهاد ونشاط وكافح الامراض الاجتماعية بمقالاته القيمة على صفحات الجرائد والمجلات وناضل عن الدين، والقومية،

والشرف ، وهو ما زال في طور التلمذة

وما ان اتم تعليمه بعد توالى السنين حتى اصبحت له شهرة في المجتمع بلغ صداها الى قطره الذي بارحه حزينا كسير الطرف ذايلا .

وكان له نجاح عظيم ، وانتصار باهر في تعلمه ونضاله ، بتشجيع الشيخ ومناصرته له

المستقبل الزاهر

... ووفاء لما وعدتك به ايها القارىء العزيز من انني اطلعك على حياة عبد اللطيف بعد الانتهاء من تعلمه وعيشته التى اصبح عليها ، وقارن انت بين ماضيه وحاضره واستنتج ما الذي صيره يحيا حياة مطمئنة لذيذة كما ستعرفها ، بعد ان كان في حياة الاضطراب والشقاوة كما هو الشان في بيئته الجاهلة

انتهى عبد اللطيف من طور التلمذة وراى لزاما عليه ان يلج معمعة الحياة ليكون لنفسه مالا ودارا وزوجة وينتقل الى طور الابوة والتربية والاشراف على تكوين اسرة يربيها تربية دينية اسلامية ليجعلها المثل الاعلى في الاخلاق الحميدة بين المجتمع الاسلامي

كان الشاب صفر الكف من المادة وعليها ترتكز الاعمال وتنبني الاسس من غير جدال . وكان في ايام تعلمه يعمل ويجد في التكسب ولا يعتمد الا على ساعده ، فيشتغل ولو بثمن قليل لتحصيل قوته وضرورياته ، ويكد بعد ذلك في طلب العلم ، وبعد اتصاله باسرة خليلته وعلم الشيخ (ابيها) بحاله اعاره قدرا وافرا من المال دخل به التجارة ، وحذق اساليبها

وتنمية الثروة بطرق عجيبة ، واصبح ذا جاه في وسط عموم الناس على اختلاف طبقاتهم ، وذا مكانة راقية بين العلماء والمثقفين ، وظل مرموقا بعين الاكبار والاجلال من طرف الامة .

وانتقل الى قطره رافعا منار العلم ، معلنا افكاره الاصلاحية في وجوه اعداء الدين ، والمتسلطين على رقاب الشعب . فالتفت الامة حوله على عادة المضطهدين الذين يحنون الى كل من يدافع عن حقوقهم ، واخذ يبث علمه في صدور ابناء الشعب ، ويلقنهم لغة آبائهم واجدادهم ويربيهم على الاخلاق التي تعلو بهم الى المستوى المهيىء لهم لقود الامة ، وتوجيهها الى ما فيه الصلاح والفلاح . وصار امام الكهول وزعيم الشباب ، فلمّ شعث الامة ، وجمع شتاتها ورآى بعد هذا ان يستوطن ويتزوج بامراة شريفة الاصل والمنبت ، تعينه على النوائب ، وتشاطره هموم الزمن ونكباته ، وتسليه وتروح عن خاطره ، ومن هي هذه المراة التي يتزوجها ياترى ؟

انها لطيفة ابنة الشيخ الذي عاضده بالمال وناصره في الراي وقوى شكيمته وثبت عزيمته .

ولا ريب انه يعزه بابنته ذات العقل الرجيح والفكر الحصيف

الزواج

كانت لطيفة تحل المكانة السامية من سويداء قلب والدها وقد بلغت طور الزواج بل تجاوزته بمدة قصيرة

ومنذ بلوغها طور الزواج تهافت ذوو الشرف والسيادة على الشيخ يخطبونها منه لابنائهم ، ولكن كان نظره بعيدا ، حيث يريد ان يضع فلذة كبده بمكان لائق بها وزوج كفء لها ، في حسبها ودينها ، حتى تكون مامونة من طغيان سيل المدنية الجارف ، الذي قضى على القومية الشريفة والدين الاسلامي الحنيف ، خصوصا وانها متربية تربية دينية بحتة ، يشهد لها عطفها على الفقراء وحنينها الى البؤساء والمساكين . وانها دائمة الحذر من الاختلاط بالفتيات المتهتكات اللائى ذهب من وجوههن الحياء . والشباب المستهتر المارق عن الدين ، الضال عن سواء السبيل ، الذي قادته نفسه الى الشهوات ، واتيان المنكرات من غير مبالاة ، وانسته القيام بواجباته ، والعمل لمستقبله ، ودينه ، وامته ، ووطنه .

وقد رايت ايها القارىء العزيز ان الفتاة مغرمة بالسباحة الى درجة

كادت تقضي على حياتها . ولكن على الرغم من ذلك فانها لا تذهب الى الشاطىء الا اذا كان خلوا من الاناسى خشية ان تتبعها الانظار وتشخص نحوها العيون

ولهذا رأى الشيخ ان يزفها الى شاب يدافع عن الاسلام ويقاوم الداعين الى المدنية الزائفة جاعلا رائده (لا مدنية الا مدنية الاسلام) ويحدب على ابناء وطنه ، ويجهد نفسه في سبيل انقاذهم من سباتهم العميق، ومن هاته الهوة السحيقة التي سقطوا الى غورها البعيد ، ويعمل لمحو فكرة سرت في عقول السواد الاعظم من شباب الاسلام ، الا وهي التفرقة ، واعتبار هذا تونسيا ، والآخر جزائريا ، وذاك مراكشيا . تلك الفكرة العقيمة الهدامة التي بثها المستعمر الوحشي . وذلك السم الذي نفثه في عروق اولئك المساكين المغلوبين عن امرهم

هؤلاء المساكين الذين اراد الشاب ان يوحد كلمتهم ، ويزيل تلك الحدود الموهومة التي اقيمت حاجزا يمنعهم من الوصول الى بعضهم وسعى في تكوين قوة منهم وشوكة حادة ، يطمسون بها عين كل طامع في استثمار هذه الاقطار العربية المسلمة ، واسترقاق ابنائها الامجاد

استوطن عبد اللطيف احدى مدن الشعب الجزائري وارسل الى الشيخ يخطبه في ابنته لطيفة، فاجابه لطلبه من غير تريث ولا امتناع ،

لما رآى منه في عدة سنوات اختبره فيها ، فوجد فيه الشاب المناضل ، المتخلق بالاخلاق العالية، وعرف كفاءته لابنته ، والرجل الذي يعينه في خدمة الدين ، والكفاح عن الاسلام

زوج ابنته من الشاب على مهر ضئيل جدا ، وكانه يريد ان يعمل بفكرته ويبرزها للوجود ، وينهج منهج التقليل في المهور ، وعدم المغالاة فيها ليمكن الزواج لكل شاب ، وينقطع الفساد ، ويحافظ الرجل على شرفه ، والمراة على عفتها ، ويتمسك كل باهداب الدين ، واذيال المدنية الاسلامية الحقة الصحيحة

الزفاف

عاد الرسول الذي اتى الى الشيخ يخاطبه في شان الزواج يحمل البشرى الى الشاب ، وما ان بلغه الخبر حتى رقص قلبه وطرب ، واعد لزوجته منزلا رفيعا مؤثثا على نمط عصري ، وبعث ركبا لاستقدام زوجته التي بمساعدة الحظ كانت من نصيبه ، وجاء الركب فاستقبله الشيخ بالحفاوة والاجلال ، واعد لابنته كل ما يلزمها من معدات وسار الركب بلطيفة في موكب فخم ٠

وكان يوم العرس يوما مشهودا تجمهر الناس بوجوه باسمة ونفوس منشرحة ٠اذ اقام لهم فيه عبد اللطيف حفلة عظيمة هائلة.

واما الفتاة فلا تسل عن مقدار طربها وسرورها ، حيث كتب لهاالقدر بان تتزوج بحبيبهاوعشيقها الذي كان اول من حل في فؤادها، واول من حرك لها الوجدان ،وعلمها الحب،وصادف هواه قلبهاخاليافتمكن.

فهي منذ نشاتها بين احضان ابويها لم تفكر في الرجل ولم تدر للهوى معنى ، الى ان وافها القدر بهذا الشاب في ايام شقاوته وتعاسته ،

فشاطرته هذه الرزايا واحتملت معه هذاالعبء الثقيل الذي انزله به الدهر، واعانته على صروف الايام وخطوبها ، حتى تمكنت لهما الغلبة وكتب لهما النصر والفوز ٠

انقشعت سحابة الهموم السوداء . واقبلت الراحة والهناء للحبيبين، وطلع نجم سعدهما ، وافل كوكب نحسهما ،وطاب لهما العيش . وضربا بسهم في الحياة ، واخذا منها القسط اللذيذ

خاتمة القصة

السعادة

كثيرا ما بحث الادباء والكتاب في معنى السعادة، واختلفت الافكار وتضاربت الآراء . فكل يعرف السعادة بما ابداه له رايه، واملاه عليه فكرته .

فمن قائل : انها في وفرة الدرهم والدينار

ومن قائل : انها في الاصدقاء والاخلاء

ومن قائل : انها عبارة عن تخفيف الآلام عن الانسان باي وسيلة من الوسائل .وهو الراي الذي ارتضيه واسير على ضوئه ،لان الانسان لا يكون سعيدا بالثروة وحدها ، ولا بالاصدقاء فحسب، بل هما من الوسائل التي اذا اجتمعت خففت عن الانسان آلامه واحزانه

فالانسان اذا ما اسعفه الحظ بالثقافة يستطيع بها ان يسير حياته على احسن حال، فبها يتوصل الى طرق جلب الثروة ويميز بين المنافع والمضار، ويجلب الاصدقاء المخلصين، والاخلاء الخالصين ، ويعمل كل مجهوداته في اختيار شريكة حياته وركن بيته الحصين .

واذا ما استطاع الانسان ان يتزوج مثل هذا الزواج فقد ضمن لبيته واولاده النجاح

وكثيرا ما يوجد الزواج على شاكلة تجعل الرجل يضمر الكره لزوجته ، وتجعل المراة تحمل الحقد والبغض لزوجها، ويعكر صفو الجو بينهما وتفسد المعاشرة ، وتذهب الذراري ضحية هذا الشؤم . فيقوم الاولاد على اخلاق شرسة ،وطباع سافلة ، تجر على المجتمع الهلاك والدمار . فلا احسن من الزواج المبني على الحب...!ولا اسعد منه ...!

فبالحب تزوج عبد اللطيف واقترن بحايلته ،وخفف آلامه، واحزانه ، وتناسى كل ما اصابه من النكبات ، وما انزله به الدهر من محن واكدار ، وجعل رائده في مستقبل حياته . قوله تعالى:

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)

تمت القصة

يظهر قريبا كتاب

(الخواطر المجموعة)

للمؤلف

وهو يشتمل على مجموعة مقالات أدبية في علاج بعض الامراض الاجتماعية التي ادت بمجتمعنا الاسلامي الى السقوط

وبعض المظاهر الاخلاقية التي بها يمكن للشعوب المسلمة ان تحافظ على كيانها القومي وتستعيد مجدها المندثر وتاريخها التليد

تصدر قريبا مجموعة قصص للمؤلف :

الفتاة المظلومة

الحياة بلاء

الغريبان

الشاب السعيد